



فلاسفة العرب



الفيزيائي

الجزء الأول

مكتبة المطبعة الكاثوليكية - بيروت



الشيخ يوسف بن عبد الله

استاذ الفلسفة العربية في جامعة القديس يوسف

الغزالي

والجبا

•

دراسة - مختارات

طبعة ثالثة مشحنة

الجزء الاول

منشورات المطبعة الكاثوليكية

بيروت



حضرت علی

الغزالي

٢٥٠ - ٥٥٥ هـ

١٠٥٩ - ١١١١ م

زيجته

في قرالة ، وهي قرية من أعمال طوس ، إحدى مدن خراسان ، ولد أبو حامد محمد ... حجة الإسلام ، وأبوه انتسب .
وكان أبوه فقيراً يعيش من غزل الصوف ، وكان محباً للعلم يحضر مجالس الفقهاء ، والوعاظ ، ويستمع على الله أن يزرقه بيتين كهولاً . وزرقه الله ما أشتى ، فكان له محمد هذا ، أشهر فقهاء عصره ، وأحمد أخوه ، وكان واعظاً يزدحم عليه الناس .
وبني الغزالي باليتيم ، فقد أباه صبياً . ويتم بعضهم أمة ، لأنه اعتاد على النفس ، وسير إلى غير آفاق .
ويتم الغزالي وضعه في رعاية وصي صوفي . ورعى هذا الصوفي صداقة الوالد ، فأعنى بالصبي جسداً وروحاً ، وألقى فيه بذوراً طيبة ، سوف تثبت غرساً يابقاً ، وتتفتح براعمه وأزهاراً .
على أن هذا الصوفي كان ضيق السهل ، وما خلفه الوالد من مال

(١) قال أبو سعد عبد الكريم السمعاني - وقد ولد في طوس نفسها - بعد وفاة الغزالي يستعين . وكتب كتاباً شهيراً في الألعاب - أن اسم الغزالي مشتق من قرالة . وهي قرية قريبة من طوس . وأنا أعرف رجلاً أكبر جسداً لاسم ، يدعى الغزالي الأكبر . وبما كان مع الغزالي هذا أبو حمزة . وإذا زاي الغزالي محقة ، ولم يلقب بهذا الاسم لأن أباه كان يتزل الصوف . تأهلت عن أن غزل الصوف يدعى غزاً لا غزاً بالياً .

كان ترواً يسيراً ، فاجأ الولد الى مدرسة خيرية ، يلحق فيها العلم ،
وينال القوت . ولما تدرى في اي عمر ترك وجهه الصوفي ، ولا كم
اقام في مدرسته تلك .

على انا تعلم - ونعلم من القزالي نفسه - انه كان يحس ، منذ
صباه ، بفضول عقلي غريب ، يدفعه الى التهجيم على كل مشكلة ،
والفحص عن عقيدة كل فرقة . وان هذا الفضول اتقه بالنفس ، وفاق
في العقل ، وسر كل مفاجأة .

وانه هذا التطلع العالي قساده القزالي الى نيسابور ، الى مدرستها
الطلامية ، حيث كان يدرس امام الحرمين ، ضياء الدين الجويني .
واخذ القزالي عن استاذة الفقه والمنطق ، واخذ عنه جرأة في النظر ،
وخروجاً عن مسالك التقليد . وكان القزالي تلميذاً متفوقاً ، وكان تفوقه
يدفعه الى العجب بالنفس ، وكان امام الحرمين يتعجب لذلك . على ان
الاستاذ كان اقل من ان يتجاهل ذكاه ، تلميذه ، او يظهر الغيرة منه ، بل
كان يتبجح به في الظاهر ، ويقول عنه اذا وصفه : « القزالي بحر مفيد » .
وتوت امام الحرمين سنة ٤٧٨ = ١٠٨٥ م ، ويرى القزالي نفسه طامعاً وحيداً .
على انه قد اصبح شاباً ، وشاباً ناضجاً ، له من العلم ما يجابه به
الاعلام ، ومن الفصاحة والذكاء ما لا يحده طبع .

وكان في العراق وزير سلجوقي كبير ، غيور على العلم واهله ، غيور
على اهل الصلاح ، يعاقبه سلطانة ملكشاه على ما يتفقه في سبيل
المدارس ، فيجيبه من كتاب : « انا اقت لك جيشاً يستي جيش الليل ،
اذا قامت جيوشك ليلاً ، قامت جيوش الليل على اقدامهم ، صفوفاً بين
يديهم ، فارسلوا دموعهم ، واطلقوا السهم ، ومدوا الى اعدائهم
بالدعاء ، لك ولبجوشك . فانت ولبجوشك في خطارتهم تعيشون ، ويدعائهم
تقتلون ، وبيدك كلهم تطرون وترزقون . »

وأتى القرظالي نظام الملك هذا ، واختلط بأهل العلم من مجلسه ،
وأظهر في مناظرة الأئمة تفوقاً وبراعة ، وظلّ في ظل نظام الملك أعواماً
سنة ، يريه فصاحة وبلاغة ، ويريه مودة وإخلاصاً ، حتى أرسله استاذاً
إلى مدرسة بغداد النظامية ، سنة ١١٨٦ هـ = ١١٩١ م.

وكانت المدارس النظامية تلك وسيلة لتأييد السنة ونفوذ السلاجقة ،
كما كان الأزهر في مصر وسيلة لتأييد الشيعة ونفوذ الفاطميين . وإذا
كان على القرظالي أن يناصر السلطان القائم ضد كل دعوة علوية ، وأن
يدافع عن أراء أهل السنة ضد المتدعة .

وعلم القرظالي في بغداد مدة أربع سنوات ، مرّ أثناءها بحالات نفسية
عظيمة ، سنأتي على ذكرها . وقد انتهى به الأمر إلى ترك التدريس في
بغداد ، والتجول من بلاد إلى بلاد . قال القرظالي في أماكن من المنقذ :
« ففارقت بغداد ... ثم دخلت الشام ، واقفت به قريباً من ستين ،
لا شغل لي إلا الغزلة والحلوة ... فكنت امتكف مدة في مسجد
دمشق ، اصعد منارة المسجد كل النهار ، وألقى بها على نفسي .

» ثم تحركت في دامية الحج ... فسرت إلى الحجاز .

» ثم جذبتني أهلي ، ودعوات الأطفال إلى الوطن ، فعادته بعد
أن كنت أرمي الخلق عن الرجوع إليه . فأثرت الغزلة أيضاً ، حرصاً على
الحلوة ، وتصفية القلب للذكر . وكانت حوادث الزمان ، ومهات الغيال ،
وضرورات المعاش ، تغير في وجه المراد ، وتشوش صفوة الحلوة . وكان
لا يصفو الحال إلا في أوقات متفرقة ، لكنني مع ذلك لا أقطع طمعي
منها ، فتدفعني عنها العوائق ، وأعود إليها ...

» ثم أتى لما واظبت على الغزلة والحلوة ، قريباً من عشر سنين ...
قدّر الله تعالى أن حرك دامية سلطان الوقت من نفسه ، لا بتحريك
من خارج ، فأمر امر الزام بالتهوض إلى نيسابور ... وبلغ الزام حداً

كان ينتهي ، لو اصررت على الخلاف ، الى حد الوحشة . . .
 « ويسر الله الحركة الى نيسابور ، لقيام بهذا المهم ، في ذي القعدة
 سنة تسع وتسعين واربعمئة . وكان الخروج من بغداد في ذي القعدة سنة
 ثمان وثمانين واربعمئة . »

يقص علينا الغزالي هذه القصة ، وهو استاذ في نيسابور ، « وقد
 اناف السن على الحسين » ، اي بعد سنة ٥٠٠ = ١١٠٦ م . ولا
 نظنه كتب المتقد بعد هذه السنة بكثير ، ولا انه درس طويلاً بعد
 كتابة المتقد ، لانه تعلم انه توفي سنة ٥٠٥ ، وانه عاد الى طوس في
 اواخر حياته ، واتخذ الى جانب داره مدرسة لفقهاء ، وخالفه للصوفية .
 واهل مصر فخر الملك ، سنة ٥٠٠ ، قد عمل في تركه التدريس في
 نيسابور ، واهله اعتزل نهائياً سنة ٥٠١ او ٥٠٢ على ابعد تقدير .

•

بقي ان نلم المأماً بتسمية الغزالي .
 لقد كان الغزالي عقلاً ذكياً ، وقد ادرك من نفسه تلك الهبة ،
 فاذا به كثير التطلع ، جهم الفضول ، يتجهج على كل مسألة ، ويجادل
 في كل معضلة ، يطالع كل كتاب ، ويصف في كل عقيدة ، وما اكثر
 ما طالع الغزالي والى ، وما اكثر ما ناظر وزير الاقربان .

وقد ادى ذلك بالغزالي الى المباشرة بذكراته ، والعجب بالنفس .
 الا نراه ينظر الى شياخ عصره ، وضلالات زمانه ، فيجد افضاحها

(١) ان هذا السلطان هو سنجر ، الذي وفي خراسان . نباه عن اخيه بركياروق ،
 سنة ٥٦٠ = ١٠٩٩ م . وجاء في طبقات الشافعية الكبرى ان فخر الملك ، وزير
 سنجر ، وابن نظام الملك ، هو الذي دعا الغزالي الى التدريس ، « والى عليه كل
 الاسلح » وشدد في الاقتراح ، الى ان اجاب : « ومن الطبيعي ان يلح ابن نظام الملك
 على صديق ابيه ، وقد ابح باسم السلطان . »

ايسر من شربة ماء..^{١١} ألا يحدثنا ، حين يحدثنا عن تركه التدريس في بغداد ، عن الحاح الولاة عليه بالبقاء ، ولوم أئمة العراق له ، وعن تعليل ذلك بقولهم : « هذا امر ساموي ، وليس له سبب الا عين اصابته اهل الاسلام ، وزمرة العلم »^{١٢} ثم الا يعود الى التدريس في نيباور ، لان سلطانا الحج ، وارباب قلوب تصحوا ، وصالحين رأوا منامات ، والها وعد « باحيا . دينه على رأس كل مئة . »^{١٣} ؟

هو الشعور بذلكانه ، وهي شهرة صلاحه ، دفعا الى ان يباهي ، وان ينشر ما يؤثر الحياء . طيه . على انك قد تلتطف من دهشتك ، اذا علمت ان صالحين كثيرين يباهوا بما يباهي به القرالي ، وانه دائب على اصلاح نفسه ، ناسب الى الله كل فضل ، مؤمن ان لا حول ولا قوة الا به : « اني لم انحرك ، وابكنته حركتي ، واني لم اعمل ، ولكنه استعاني ، فاسأله ان يصاحبي اولاً ، ثم يصلح لي ويهديني . »^{١٤}

وان اهل عصره رأوا فيه ما رأى في نفسه ، قرأه الايوردي من قصيدة :

مضي ، واعظم مفقود فجمت به من لا نظير له في الناس يحلفه !

(١) المختارات : ٢ ص ٤٨

(٢) المختارات : ٢ ص ٤٣

(٣) المختارات : ١ ص ٤٩

(٤) المختارات : ٢ ص ٥٠

ارأوه

الغزالي شخصية غنية الروح ، واسعة الاطلاع ، كثيرة الانتاج ، متشعبة المناحي .

وحياة الغزالي شطران متباينان من وجوه ، مشتركان في اشياء ، يفصلهما انقلاب عميق ، واهتداء الى التصوف .

وعقل الغزالي كثير التطلع ، نفور من الانقياد ، نزوع الى اليقين ، عرضة للحيرة والقلق ، هدف لكل مهالك الذكاء .

واذا ليس من اليسير ان نجتمع ما تبدد ، وتلاثم ما تشعب ، ان تبين ما تبدل ولا تذهل عما استمر ، ان تتبع تطور الفكرة وتجد حلاً للتناقضات .

وانا قد رأيت ان نتخذ كتاب المنقذ اساساً ، فنعرض تطور فكرة الغزالي كما عرضها هو لنا ، ثم نقد هذه الرواية مظهرين ما فيها من وهن ومن تناقض ، وننتهي برأي يشرح لنا كتاب المنقذ ، بل قد يشرح باقي كتبه ايضاً .

١ - رواية المنقذ

ادبانه ومذاهب وقبيل : الشك في ادبانه :

رأى الغزالي اختلاف الناس في الاديان ، واختلاف الائمة في المذاهب . وساطان التقليد في اعتناق هذه وتلك ، ووافق ذلك منه عقلاً متطلعاً ذكياً ، وتقية بالنفس ، فاذا به حائر امام تضارب الاراء ، واذا به يتحور من كل تقليد ، من الرضوخ لرأي امام او تعليم والد واستاذ ، ومن الزكون الى ايمان موروث ، ليعود الى حقيقة النظرة الاصلية ، ويسلك طريق الحق الخالص .

رى امرأى ذلك وهو فى عنقوان الشباب لم يسمع لغيره ، وحلج
التعبد واسكرت عليه العقائد امورته وهو قريب عهد من النصارى ،
وحاد امرأى الحسن وه شفى النفس من اجتناب العقائد والخرق !

ما اليقين ؟

ولما كان امرأى سجت عن حق يطعن به ، ووقف فيه ، رأى ان
يبدأ بتحديد العلم اليقيني . وقد حدده هكذا : * العلم اليقيني هو
الذي ينكشف فيه العلوم انكشاف لا يبقى معه ريب ، ولا معارضة
امكان الفلظ والوهم ، ولا يتسم قلب تعديده من الامان من
اخطأ ينفي ان يكون مقارناً بغيره ، لو تعدى بصير بطلانه ،
مثلاً من نفس البحر دهر ، ونفس نعامه يودث ذلك شكاً وانكاراً . "

ذلك فى الحق والعقل :

حدد الفزائى اليقين ، ثم شرع سجت عنه فى ما عده من علوم ،
فوجد نفسه * عاطلاً من علم موصوف بهذه الصفة ، الا فى احسان
واضروحات^(١) ، اى فى ما يعرفه عن طريق خبر والعقل .

ونكت انبرى الى معلومات الحق اولا ، واما حيلته ، او عرصه
للضلال لا يرى طرأ مبدأ ، وهو متجرب ؟ ، يرى الكراك
صفة ، وهو اكبر من الاراس ؟ وانما رتبه دلس ، ولا يقين فى
لعمري عن طريقه !

والحق رتبته - فلا ذكر - فى حد ذاته علم بحقه ، لا
يبنى بوضوح - ، ولا شمل فى احكامه ، ما يجرى عليه ، بل هو
محال شطب ؟

والعقل ما شأنه ؟

ان للعقل ولات تدور ثابته ، من مثل ٥ انفسه اكثر من ثلاثة ،
والنهي والاداسات لا تحتصن في الشيء الواحد ، والتي . الواحد لا يكون
حادث قديم ، موجوداً معدوم . واحد محلاً " ٥ وكاد ليراني يركن الى
عقله ، لولا شبهة عرصته . فقد كان حتى يمشي الى ان اتى حاكم
لعقل فكسره ، فلعقل : راء . العقل حلاً . اذا تحلى ، كذبه وصلته
ثم لا يتقدم في اومه اموراً ، وتظهر البعثة صلاحها في لا يكون في
شبه يوم ، ويكون الموت بعينه : اهم مخدوع ؟ وبدعي الصوفية زعم
شهودون في احوالهم اموراً لا توقع ما يراه العقل ، افلا تكون احالة
الصوفية درقي الانساب الى الحق ؟

عرصت اعزى هذه الشهاب . وحضرت . حواطر ، فقد
الثمة رقيقة ، راء . ار قدما عنه ودام في شككه هذا قريباً من شهرين ،
هو فيها ٥ على مذهب الجسدية ، محكمة الحلال ، لا يحكم النطق
والفلسفة . وهكذا تصرق اعز الى من شك الى شك ، من الشك في
ديانة الى الشك في عقله !

١٩ المختارات : من ؟

٢٢ : ما الذي في نفسي من شكك في كذا لم ي . وقد رد به ما يوس
عنه . في غير : وهي حود في حرمها في ان عليه عدة احوال .
١ : حذر . المختارة من يوم وبهذه : وضحة ومرص : وضحة وسكر
وحب واصل

ب : حذر . بساط ولا يمكن . هو عدة العبد صيرة . ٥ ، حتى اذا
فر . بساط كبره . حتى كره ، وقيلو المصا مكسره في اداء مسببة خارجة .
ج : حذر . حذر . وبقم . راء : فالعزم يحذرون نرويج الامة من
مهاجم ويحذر اعز . ٥ . الاحود من احوالهم ويحظر القانون اسو في كل ذلك .
واحدقات الادبانه ومدافع . درسه مشهور .

٢٣ المختارات : من ؟

الخروج من الشك في العقل .

حاول القرني الخروج من شكه في عقله بدليل ، فلم يسر له ذلك ، وكيف يستقيم دليل والاوليات غير معلّم بها ؟
ودم القرني في شكه شهري عادت به الثقة بالاوليات العقلية ، لا سطم دليل وترتيب كلام ، بل بمر قدوة له تعالى في السبر .
على ان القرني ، بعد ان سهب في وصف هذا الوبور المتناوي ،
ينتهي فعاه هذه النتيجة * ولما قصد من هذه الحكايات ان يُعَمَل كمال
الحق في الطلب حتى يُنْهَى الى طلب ما لا يُطْبَق . فان الاوليات ليست
مطلوبة ، فلها حاصرة ، والخاصر اذا طُلب فقد واحتسب " وهذا
شبه دليل عقلي خلاصته ان الاوليات هي اوضح شيء في نظر العقل ،
ولا نحتاج الى ريب لاثبات صحتها بل لا يمكن اعداد مثل هذا الدليل .

الخروج من الشك في الوجدان .

خرج القرني من شكه في عقله ، فبقي ان يخرج من شكه في
ايمانه ، وان يستقر على عقيدة ومذهب
وشرح القرني قرأى ان الحق لا يتجاوز احدى فرق اربع الكلام ،
وفلسفة ، واساطنة ، ولصوية فأخذ يتعرض هذه الفرق ، ويوحز
تعاليمها ، وينقدها :

١ - الكلام :

اما الكلام فعاقبته جملة عقيدة اهل السنة ، وحراستها عن تشوش
اهل البدعة .
ويرى القرني في الكلام نقص : لاول هو اعتاده على مقدمات

مبادئ . قنوا بعدم العالم ، واسكروا حشر الأجسام ، وسعوا عمى الله
بالمطربات . وقد وضع يولي كتاب « التهاوت » لابطال مذهبهم في
« اتوا من كفر ومن يدع

٣ - الباطنية :

لم تبق الباطنية معرضة لغيري ، ولم يتركها ، من طريق العمل
كل معضل ، فانتقل الى الباطنية .

والباطنية هذه رأيت ان الا ، ابدأ مناصرة ، والقول مشادة ،
وحسنت بطلان حق ، وذلك مضروره امام معصوم يست في خلاف ،
وفصل في الدع ، كمي ، بعد لعيدة ، ولتتس الحق على الدس

وأئمة الدعية المعصومون سبعة اولهم علي وسابعهم اسمعيل (٧٦٢م)
ابن جعفر الصادق . واسماعيل هذا حي لا يموت ، وغائب لا يرى ، قد
مات في الناس دعاة يهود ووشدون وان اختلف لدعاة في امر ، او
صدق عليهم مشكل ، عادوا الى الامام وانترشدوه

ورأى اني غير العزل ، كمي رأوا ، وضروره الامام المعصوم ، انما
م يسله بانه مولى النبي . حل ان النبي ميت ، ولكن امام الباطنية
عائس يستعين بوصول انه بعد طاعة ثم ما علمه هذا الامام ؟ واي
خلاف اراد ؟ وبلي . ان الأئمة هل اراد الخلاف ام راده وقواه ؟ وهل
يستطيع امام ما يحضر الاتياء انفسهم عنه ؟

٤ - الصوفي :

واقي دور الصوفية

طالب الغزالي « قوت القلوب » لابي طالب المكي (٣٨٨ هـ =
١٩٨) ، وكتب الخاثر الحاسبي (٣٤٣ هـ = ١٨٥٧) ، وما بقي من الخليل

(٢٩٧ ١٠٩) والشلي (٥٣٤ ١١٤٥) ، ولسطامي (٨٢٩٤ = ٨٧٧) ،
وعبرهم من المتأخرين ، وهذا الخصر خواص لصوفية « ما لا يمكن الوصول إليه
بالعلم ، بل بالدق والحل وتبدل الصفات » ، وأدّ عليه أن يحيى الحياة
الصوفية ، ويسلك لصريفة ، أن يترك لتدريس في ممداد ، ود يحده من
مال وجاء ، وأن يمدد حوله للعاني ، أي ، « و » بعصره من حب الروح
والدين ، ويذهب رهداً مأملاً ساجداً ، لكي يحتر الحالة الصوفية ، ويؤدي
حكماً صائباً فيها .

وهو يحدثنا الغزالي عن واقع داخلي عيب ، عن تردد بين تحذوب
شهرت لدي ود : عي الآخرة داه قوماً من ستة أشهر أوها . وحسب
سنة ١١٨٨ هـ ١٠٩٥ . ويجوز أن هذا التردد اقتصى به في عرض
بطلت معه قوة المضم ، وصفت القوى ، وعقل اللسان عن التدريس ،
وقطع الأطباء طمعيهم من العلاج .

ونتهي هذا تردد بأن سهل الله على نفسه إيهاد ، سهل عليه
الأعراض عن حياءه والمال والأولاد ، فترك كل شيء ، وعاذر ممداد في
ذي القعدة سنة ١١٨٨ هـ = ١٠٩٥ .

عاد الغزالي ممداد رعم الحاج لولاة ماسق . ، و يوم أتمه لدى به .
وقد تظاهر بالذهاب إلى مكة ، وهو ينوي السفر إلى الشام ، حذراً
من أن يطلع الخليفة وجملة الأصحاب على عزيمته في المقام بالشام .
سافر الغزالي إلى الشام حيث أقام سنتين ، ثم قصد اورشليم والخطار ،
مستكماً على امرته ، ومحاهدة النفس ، ونصفية لقلب .

لست أعلم بالضبط كم أقام للغزالي في اورشليم وأخبار ، إنما أعلم أن
حينئذ جد فيه إلى الأهل والأطفال ، وأن هذا الحنين قد اشتد وطئ ،
وإذا بالغزالي يعود إلى وطنه بعد أن كان عزمه ألا يعود أبداً

على أن العودة ، بصرفه عن حياة الصوفية ، وبعد عشر سنين من
 تركه التدريس في بغداد ، وصل الى هذه الراي في الصوفية ، الصوفية هم
 انما يكون الطريق الى الله خاصة ، بينهم احسن الناس ، واخلاقهم ، وكى
 الاخلاق ، لان جميع حركاتهم وسكناتهم " مقتسة من نور مشكاة
 السوء ، وليس نور ، نور اسوة ، على وجه الارض ، نور يستد به " .

وهكذا انتهى لمرالي من بحثه للمرق بعدها ، واستقر رايه على
 ان الحق في الصوفية ، فاعتقها مذهباً له

٢ - مد وانه لمجد

على ب رواية المرالي في المقدمة . واية شكوكه وبحثه واستنبطه اي
 التصوف ، ملأى بتناقضات ، مفتقرة الى نقد وتصحيح . والثالث اهم ما
 نأخذ على هذه الرواية .

١ - خروج المرالي من شكه في عمله غير منطقي

ان عقلاً شاك في قدرته لا يسه الاطمينان الى نور طوره او دليل
 اقبحه ، دون ان يبحث بالطلق . وعلم ان المرالي بنفسه رأى النور
 الذي قدوة الله في صدره ، وبمقتضى رأى ان الاوليات واضحة بداتها ،
 لا يطلب عليها برهان .

٢ - عصر المرالي الحق على اربع فرق امر عرب .

حين يشك انسان في ايمانه ، ويسوي البحث عن الايمان الحق ، عليه
 ان يستعرض هم ادبيات عصره ، ومذاهب دينه ، فلماذا لم يقم لمرالي
 بهذا البحث لشمل ، وكيف ممكن ان يعرض - دون اي بحث

٢. نقى : حتى لم يبرو حدى مع فرق الكلام والفلسفة والناطية
رواية *

٣. نقد القرالى للفرق نقد مسلم موسى لا نقد من يهتم عن إيمان صانع
القرى قبل على نقد فرق ، بعد أن أكد لنا خله كل تقليد ،
وكل بار ، أكد حده و - العمل أساسا وحدا للبحث

وتعيد القرى محقق معناه أنه حين نقد الكلام ، فاب عليه أساسه
في غير انص وريت عقبة ، وإهتاهم بالرد على الخصوم أكثر من إهتاهم
للمبحث عن الحق

على : الفرق قد خرج عن المعلق كل الخروج حين قبل على نقد
باقي الفرق ، فمعهذا كحل مؤمن وعاب عليها ما عاب باسم الايمان !

ثم دهم بمصصة الرسول حين رد على : قضية ؟ ألم يحكم على
الغلاسة بالردة ، لكفر لاهم اسكرو حدائق روية ؟ ألم يـ احلاق
الصوفية افضل الاحلاق لاهم . منتخبة من نور السوء ، وسرورا نور
النيرة نور ؟

أن نقد القرالى للفرق هو نقد مؤمن في عمله ، فكيف نقى
وموقفه الاساسي من البحث عن صحة لاين *

وأذا علينا ألا نتخذ رواية المنقد على أنها روية صحيحة ، ولا
نستند إليها لمعرفة تطور تفكير القرالى ،

بل لا بد من حل متناقضات هذه الرواية ، اذا شما الا نقى
عد النقد ، وان يرى نوع تفكير القرالى ، وتصور هذا التفكير وإيهك
خلاصة ما نرى .

١ - نظرية المذهب الثلاثي

يرى القرطبي أن لكل كامل ثلاثة مذاهب :

أحدهم هو مذهب الرسمي ، مذهب الآراء ، وابسته ، الذي يتعصب له الإنسان ويباهي به .

والثاني مذهب جنود في الأرض ، يتغير بتغير المسترشدين ، مواجهمه وتفكيره .

والثالث مذهب يعتمد على الرحمن من ربه ودين الله ، لا يطالع عليه غير الله ، أو من شاركه فيه .

٢ - تطبيق النظرية على القرطبي

وإذا كانت هذه صورة القرطبي إلى المذاهب ، نستطيع أن نثبت الأمور التالية :

أ - كان للقرطبي مذهب رسمي ، هو مذهب السنة ، وقد دفع عنه في كتبه الكلامية ، فهاجم الباطنية ، وبدع الفلاسفة وكثر وهذا المذهب لم يظهر فيه شكاً ، حتى في بعض سماته شكه ، يوم كان يدرس في بغداد .

ب - وكان القرطبي يبحث ، في سيرة ، عن مذهب يعتمد عليه ودين ربه . إذ مذهبه الرسمي ظل أي دمن مذهبه الباطني ، وسكنه منذ صباه بدأ يشك في هذا المذهب ، وبلغت شكوكه ذروتها أثناء تدريسه في بغداد . بعد الثالث لم يصب به ، ولم يكتب عنه ، بل كتمه في نفسه . كل الفكرة التي كان يقاسيها ربه وترددت في يوم خرج منه فقد

المسلمين المؤمنين ، فقد روي ان يهدم فيها سدود التعليل بروية ما عرض
 به من شكوك ، وان بعد الفرق بينهما مستندة من جهة وهذا
 هو السبب ، على ما نطق ، ان الذي قطع اربعة من شئ تجري ونقده ،
 وحفل من اسفد سببه مضافات ، لقد كانت عابته استدوايج قارئة
 اسلم في تصوفه ، لا عرض نظوره المكري عرض واقفاً من

هـ على ان عرائ ، ان يمد تصوفه ، ونداء ابيه ، ولأنه استمدح
 ا بلانغ منه وبين مدحه اعمى و كسر . كان يرى ، في مدحه
 السري ، بعض من يرون بالاسفة ، ويجازف مدح سة ارمحي " هذا
 ما سببته في يد هذا السكون ، ر سرقه

الله . يقدس . من الصورة وايد . و مدم . و مدم . على العرش ،
وما يجري مجراه

٢٠ اصل التفرقة بين الاسلام والزندقة : كبر . كبر . اصول
وال مأوس القرب قورين ، يكس . كبر . كبر . كبر

٥

٢١ المسمى للمهر احد كتب القران لكثيره في يد علي بن ابي طالب
ويروى القزالي ان معرفة الحق كايه لتغير حق عن احد ، ولاستص
عن الامام المعصوم . والكتاب في جوهره عرض له . س . متبقية

٥

٢٢ مسمى للمهر احد كتب القران لكثيره في يد علي بن ابي طالب
وقد عرض فيه فلسفة له راي وان سينا ، ثمبدأ للرد عليها في كتاب
لنهايت " ان اوهو على فساد المذاهب ، قبل الاشارة بمداركها .
بحال ، بل هو رمي في البرية والضلال . فوايت ان اقدم على بيان
تم فهم كلاما وحيدا ، مشتمل على حكمه مقبضهم من علومهم
المنطقية ، والطبيعة ، والالهية ، من غير فهم حق بها وبماصل "

٢٣ مسمى للمهر احد كتب القران لكثيره في يد علي بن ابي طالب
خلة شها مسكنه على الفلسفة وقد حال هراي انها ، في فلسفة
لداري وان س . كبر ومن يدع ، في يد رما ، من تدريس ،
وفي دنه من وهر ، وقد در رده حو . مسمى مسألة ، قول ويم
قدم س . وروية الله ، وروية الله

٢٤ مسمى للمهر احد كتب القران لكثيره في يد علي بن ابي طالب
من جدول مسمى بين ادب والفلسفة ذلك ان القزالي لا يهدم فلسفة
مقدمة فلسفة الدارني ومن سبيل ليسى فلسفة اخرى ، خاصة ، و

يهدم الفلسفة جملة ، ويحيط من قدرة العقل ، ليرفع من قدر الوحي ،
ويبطل من شأن النبوة وان يرالي بعد حريص على الهدم واطهار الشافى ،
اكثر مما هو حريص على اظهار الحق او الاقتناع بالحق

وان . انى به العربي ، لنا حمله ، من يراهي عقلية ، ويطربات
فلسفية لطيفة ، لاسر اقتضاء تعديل ، ما ينس العربي - كما يبرح
هو نفسه - معتقدا كل ما يقول .

٧ - مصادر العلم كذب في المعنى ، اراد من وصفه تأييد في
هذا الموضوع ، وطلاع لدرى على ما استعمله من اصطلاحات منطقية
في كتاب التفاهات .

ج - في الصرف :

١ - هذه علوم مدر المصنعة العامة ، مدر ، ١٣٢٦ هـ .
عمره كتب العربي - شرع في ريفه الماء سياجته الصوفية ، وبعده
لم يجره في صيغته هابيه الا في واجر عمره
قال العربي منه لهذا كتاب . " رتب الاشتغال بتجره هذه
الكتب اجد لعلمه انى ، وكشف عن مشايخ الائمة المتقدمين .
وقد سمته على اربعة ارباع ، هي ربع السدات ، وربع هذات ،
وربع للملكات ، وربع لمجبات
وشتين ربع هذات على عشرة كتب كتب العلم ، وكتب
قواعد العقائد ، وكتب اسرار الطهارة ، وكتاب اسرار الصلاة ،
وكتاب اسرار الزكاة ، وكتاب اسرار الصيام ، وكتاب اسرار الحج ،
وكتاب اداب سلاوة القرآن ، وكتاب الادكار والدعوات ، وكتاب
ترتيب الادوار في الاوقات .

و. دمع العادات فيشتغل على عشرة كتب. كتاب اديب الاكل ،
 وكتاب آداب السكاج ، وكتاب احكام الحكماء ، وكتاب اخلاق
 وخبرم ، وكتاب آداب الصلوة والمناجاة مع اصناف الخلق ، وكتاب
 العزلة ، وكتاب آداب السفر ، وكتاب السماع واحد ، وكتاب الامر
 بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكتاب آداب المعاشة وخلق السوءة

وا. دمع المهلكات فيشتغل على عشرة كتب : كتاب شرع
 معائب القلب ، وكتاب رياضة النفس ، وكتاب دلت الشهوتين ، شهوة
 السطن وشهوة الفرج ، وكتاب آفات اللسان ، وكتاب آفات القلب
 واحمد واحد ، وكتاب دم البدر ، وكتاب دم لادن ولعل ،
 وكتاب دم الجاه والرياء ، وكتاب دم الكبد وسحب ، وكتاب دم
 الغرور .

واما دمع المحببات فيشتغل على عشرة كتب . كتاب ثوبة ،
 وكتاب انصر ولشكر ، وكتاب الخوف والرجاء ، وكتاب الفقر وزهد ،
 وكتاب توحيد والتوكل ، وكتاب احبة والشوق والاسرار ،
 وكتاب اليقظة والصدق والاحسان ، وكتاب مراقبة والمحاسبة ، وكتاب
 التفكير ، وكتاب ذكر الموت .

وكان هذا كتاب دائرة معارف ما علمه الاسلام في العقائد
 والاحلاق ، وانه لا يحق كلمة فاهت به خلاوات انفراد

٢ - كتاب درمدي في مولد ابراهيم . كتب بعد كتاب الاحكام ، وهو
 مثله اربعة ارباع ، وكانه مختصر له .

٣ - كتاب سباده بهمه الكيمياء . تتحول القلب من الترددية الى
 انفسية ، على نحو ما جاء في كتاب "معاني القلب" من دمع المهلكات

٤ - ارسائه للديني العلوم وما انسانية كالمعلوم الشرعية والفلسفة ،

واما ربه او نبيه ، وهي ما سال لاهم الصوفي والعلم الذي يغنيك
عن العلم ادساى

٥ - رسالة رمزية صوفية - جمعت انواع الطيور ،
احتار لاه لها ملكا - كانت الصفا - تسكن الغرب ، جذت
النير في طابها ، حتى دانت اكنة في الدرس ، وبلغ المشرق العاية ،
عمر اثم انا ، ده امك قد اموا اله - م دسكم حاتم ، ام نحن
دونك - ثم شغفم - نحن شوقنا - نحن فلكا فجلدنا في لبر
واسحر "

٦ - رسالة - حث فيها على بعيدا - هو لونه الى -
عرب لاه دسك - كتب بعد حيا ، لوه لوس

٧ - رسالة - دسك كروستان - قال مرأى في -
رس ان امور - طلب السادة حقة ، ثم لين ان لا طريق الى
الهدى الا بهم و دسك ، ثم رس لاه - سره تحصيله ، ثم لين الصل
المسعد ودرعه "

٨ - الرسالة - و دسك - حدث ان رس دسك اوت
٩ - رسالة - مطبعة كروستان ، دسك - دسك دسك لاه
الهدى

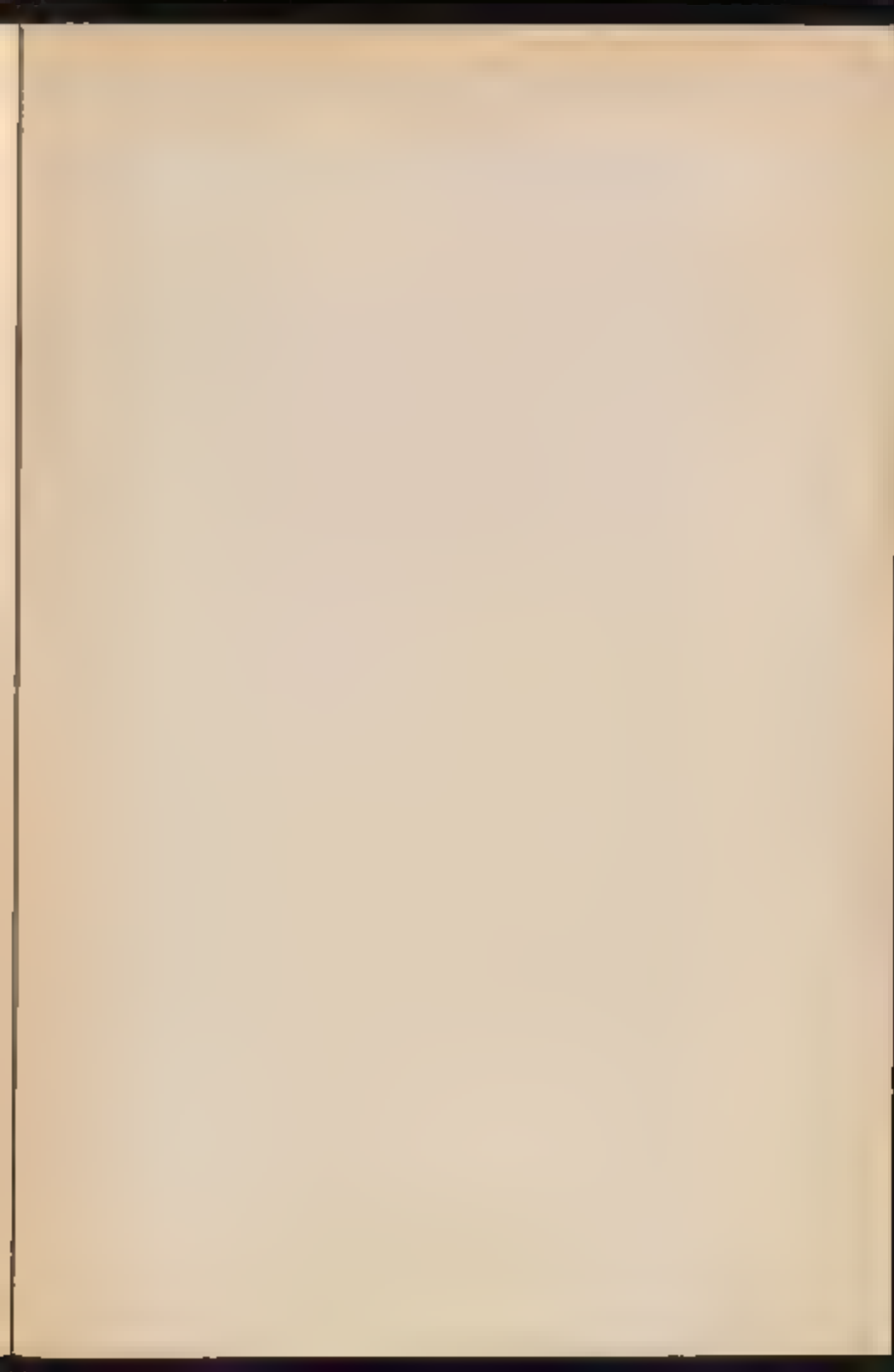
و في زمرة كبار

لهم صلا - دسك ترقى - دسك ، ٩٣٩ - دسك لاه
في هذا الكتاب - دسك - دسك عن دسك في - دسك
والهفة ، والاه - دسك - دسك - دسك - دسك
حالات عقلية ومعينة ، وح دسك - دسك

مختارات

رسالة

المنقذ من الضيق



غاية المصانعة

سأنتهي ، أيها الأخ ، ان كنت تريد غاية العلوم وحرارها ، وعائلة
مهاجر واعورها ، واحكي بيت ما قاسيته في استخلاص خلق من
بين اضطراب الفرق ، مع تدمير المسالك واضرّق ، وما استعرت عليه
من الارهاق عن حبيب . فاعلم اني بقاع الامساض ، وما استعنته
أولاً من علم الكلام ، وما احتوتته ذب من طرق هل التعليم لقصرين ،
بدرك خلق ، على تقييد الادمم . وما رددته ثالثاً من طرق لتفلسف ،
وما ارتضيت حراً من طريقه التصوف ، وما اجملي في ، في نقاشي
من اقاويل الخلق ، من لاد الحق ، وما صرّفي عن نشر العلم بمعداد ،
مع كثرة الطلبة ، وما دعاني في مدودي بيبسور ، بعد حزن امده ،
وتدبرت لأهنتك الى مفضلتك . بعد انقوت على صدق رعيتك

الملك في الإجماع

عمو . احسن الله تعالى ارشادكم ، والان لالحق بديكم ان
اختلاف الخلق في الاديان والمذاهب ، ثم اختلاف الامة في المذاهب ، على
كثرة الفرق وتباين المشرق ، بحر عرق فيه الاكثرين ، وما لم
منه الا الاقلون . وكل فريق يزعم انه المصحي .

ولم ران في عموم شديد ، مد رقت الملوغ ، قبل بلوغ العشرين ،
إلى الآن ، وقد افسد احسن على الحبيب ، فتجده جنة هذا البحر العتيق ،
وحوض عمره حوض الحصور ، لا حوض احباب الحذور ، واتوغل في
كل مظنة ، وأنتجته على كل مشكلة ، وأتقنم كل ورطة ، ونفحص

عن عقده كل طرفه ، واستكشف اسرار مذهب كل طائفة
 وقد كان التعلّش في ذلك حديث ديمور داني وديدي من اول
 امري وديدي عمري ، عريّة ومطرفة من امه وصمما في حقي ، لا
 سمحاري وحسني ، حتى احب بي راطة التعيد ، وسكرت علي
 اعفاند مووه ، على قرب عهد من الصبا ، اذ رأيت صيان النصاري
 و يكون هم شو الا على الله ، وصبا اليهود لا شرو هم الا
 على اليهود ، وصبا المسمي لا شرو هم لا في سلام وسمت
 حديث امري عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، حيث قال : « كان
 مودود يولد على الفطرة فؤاده يهودا ، فمعه يهودا ، ويوحنا ،
 فمعه نبي في حقة المطر الاصلية ، وحقة المعاند الطارضة بتقليد
 الوندس والستادين ، والله من هذه التقاليد ، واوائها تلقينات ،
 وفي تمار حق منها من الدليل حذاهت

ما المين

فمت في رضي ، ولا ، مصري العالم بحقائق الامور ، فلا بد
 من طلب حقيقة العلم ، هي فتشهر في ان العلم ادهي هو ندي
 سكتة فيه المصوم انكشاف ، يعني معه ريب ، وده ربه مكان
 امسط ودهم ، ولا يسع قلبه لده ديت ، ان الامم من الحمايا مي
 ان يكون معارفاً لليعني مقارنة ، حدي ناصر بصلاته ، مثلاً ، من
 يقلب الحجر دها ، و مصاعد ، م يث ذلك شكي وإسكارا
 في اذا علمت ان الشجرة اكثر من الثلاثة ، لمو قال لي فائل - لا ،
 ما الثلاثة اكثر ، م يث في أقس هذه المصا نصا ، وقسم ، وشهدت
 ذلك منه . لم أشك بسفه في معرفتي ، ولم يحصل لي منه إلا العصب
 من كيبه قدرته عنه . فده التلك وما لفته ، فلا

ثم علمت ان كل ما لا علمه على هذا الوجه ، ولا يثبت هذا النوع
من اليقين فهو عنهم لا ثقة به ، ولا ثبات معه ، وكل علم لا ثبات معه
فليس بعلم يقيني

الشك في الحس والفضل

ثم فشت عن علمي ، فوجدت على ما خلا من علم موصوف بهذه
الصفة ، ولا في الحيات والضروريات فقلت : من بعد حصول
الحس ، لا مطمع في اقتناء المشكوك الا من ادخلت وهي حسنة
والضروريات . ولا بد من حكمهم ولا لأتبعن أن ثقتي بالمحسوسات ،
وأما في من القسط في الضروريات هو ثبات محقق لا عذر فيه ولا علة
له فأقلت : بعد بيع ثبات في المحسوسات والضروريات ، وبما هل
يمكنني ان أشكك بنفسي فيها فستهي لي دواب التشكيك اي ان
أسمح بنفسي بتسليم الأمان في المحسوسات ايضا ، واخذ يقع الشك
فيها . يقول : من أين الثقة بالمحسوسات ، وأنها حاسة الضر ، وهي
تدبر الى الفل فذاك واقفا ، متحرك ، ولحكمهم في الحركة ، ثم
بالحيرة والمشاهدة ، بعد حاسة ، يعرف انه متحرك ، وانه لم يتحرك دفعة
بمرة ، بل على التدريج دوة ، حتى لا يمكن له حاسة وقوف ، وتصور
اي الكوكب فذاك حيزاً ، في مقدار دة ، ثم لادلة عديده تد
على انه اكثر من ارض في مقدار " هذا وامش من محسوسات
يحكمهم في حكم الحس بالحكمة ، ويحكمه حاكم العقل ويحكمه
سكدياً لا حس الى مدته فقلت : قد بطلت الثقة بالمحسوسات
ايضاً فلعلة لا ثقة إلا باستقلالات التي هي من الادوية ، كقولنا : انشروه
اكثر من الثلاثة ، واسمي والانس لا يختص في الشيء الواحد ، والشيء
الواحد لا يكون حادثاً دفعة ، موحوداً معدوماً ، واحداً محلاً فقلت

شعئ الله تعالى من ذلك المرض ، وحدث البعض الى نصحة والاعتدال ،
ورجعت الضرورات الصغرى معونة ، موقوفاً ، على أمن وبقين ، ولم
يكن ذلك مشتمل دليل ، وتزيت كلام ، بل سور عده الله تعالى في
الصدر ، وذلك البور هو مفتاح اكثر المعارف ، فمن من ان الكشف
موقوف على لادنه المحرومة ، فقد ضيق رحمه الله تعالى الواسعة ولما سئل
رسول الله عليه السلام عن " الشرح " ومعه ، في قوله تعالى : " من
يؤد الله ، يدره يشرح صدره للإسلام " فقال : " هو بور يقوده الله
تعالى في الطلب " فقبل " و ، علامته " ، فقال : " انتهى عن دار
المرور ، والامانة الى دار الخلود " وهو يدي دل عليه السلام فيه
" ن الله تعالى حتى الخلق في حكمة ، ثم رشح عليهم من بوره " فمن ذلك
البور ينبغي ان يطلب الكشف وذلك انه ينحس من حور (الهي)
في بعض الاحيان ، ويجب ان صدقته ، كما قال عليه السلام " ان
السكر في يوم دهر كما وجدت ، لا تفترضوها " .
المادة : ١٠ . هـ . المسكيات ان تعمل كما اشد في الغالب ، حتى
تذهب الى صلب ، لا يطلب من الاثرات بسبب طولية ، طاب
حافرة : . والحاصر اذا طلب فقد واختفى

اصناف الطالبين

والله تعالى به تعالى من هذا المرض بعضه وسعه حوده ، اعلمت
اصناف الطالبين عندي في اربع فرق :

١ - المتكلمون : وهم يدعون أنهم أهل الي والسطر

٢ - السامعون : وهم يدعون أنهم اصحاب العلم ، وعصرون بالاعتقاد

من الإمام المعصوم

٣ - ملاحقه . وهم يزعمون أنهم أهل المنطق والبرهان

٢ - حويجه . وهم يدعون أنهم خواص الحضرة وأهل المشاهدة
والمكاشفة

فقال في نفسي - الحق لا يمدو هذه الأصاف أربعة ، هؤلاء هم
الساكنون سبل طيب الحق ، فإن شد الحق عهد ، فلا يبقى في ذرة
الحق مطمع ، لا مطمع في الرجوع إلى التقليد بعد مفارقه ، إذ من
شر أن بعد - لا بعد - مقيد ، وإذا علم ذلك فكبرت رجاحة
عليه ، وهو شمس لا يرب ، وشمس لا يلم بالشمس والراف ، إلا
أن يدب بالدر ، ويشتد به صفة أخرى - متجدد

وقد تطلعت هذه الحلق ، واستقصا ما عند هذه الفرق ، فمبتدئا
بعلم بسلام ، وثانيا بمرئق مفسدة ، وثالثا بدهم أفسدة ، ومربعا
بعارق الصوفة

١ - علم الألام مقصوده وعامله

ثم بي أن أن بعلم الكلاء ، فحقيقته وعنده ، وصانعت كتب
مختلفين منهم ، وصفت فيه ما ردت أب صلب ، فصادفته عابا وفي
مقصوده ، غير واجب مقصودي ، مقصوده هو غيبه هل اسمه ،
وحرسه ، عن تشوش أهل سمعه ، فقد ألقى به نغى في عاده ، على
حان رسوه ، غيبته هي الحق ، على ما وه صلاح ديسه وديهم ،
كما يطلق معرفه امرئ ، وأحار ثم ألقى الشبص في وسوس امتدعة
مورا بحامه لاسه ، فبحر بها وكادوا يشوشون بعده الحق على أهلها
وأشأ به تعالى دقة المتكلمين ، وحرك دوايمهم بحضرة اسه

وسكهم عتدو في ذلك على مبدعات تسلموها من خصوصه ، واضطرم
إلى تسليها ، إما التقليد ، وإجماع الأمة ، وجمود لقول من لقون
والأحبار وكان أكثر حوصهم في استخراج مفضات الحصوص ، ومؤجدهم

مدوام مسلماتهم . وهذا قليل النعم في حق من لا يُبسم سوى الضرورات
شيئاً أصلاً . فلم يكن اسكلاه في حقي حكاية ، ولا لدائي الذي
كنت اشكوه شاكياً . .

٢ الملقب

ثم في انتدات ، بعد مخرج من علم اسكلاه ، علم العاشقة
وعلمت يقيناً به لا يقف على فساد نوع من العلوم من لا يقف على منتهى
ذلك العلم ، حتى ينادي اعلمهم في صن ديث بعلم ، ثم يريد عليه
ويعود درجته ، فيسمع على ما به يبدله عليه صاحب العلم من عور وعائلة
فشرت من صان احد ، في تحصل ذلك بعلم من الكتب ، ثم
يعالجه من غير ستانة بأستاذ ، وقات على ديث في اوقات فرائي
من تصنيف والتدريس في علوم الشرعية ، وناشر التدريس والاداة
ثلاثة من من الطلبة بعدد فأصني امة سبعة وعالي ، بعدد
لطاهه في هذه الاوقات المحتاجة ، على منتهى علمه في اقل من سنتي
ثم لم أر اوط على التفكير به بعد محبة قرب من سنة اعوده وارده
وانعد عوانه ونواره ، حتى أصلمت على . فه من حدع وتيسر ،
وتحقيق وتحليل ، اطلاقاً لم اشك فيه

وصحه الآن حكاية وحكمة حاصل علومهم ، وفي رأيتهم صفاً ،
وريت علومهم اقرباً ، وهم على كثرة صباههم ومهم وصحه اكفر
والاحاد ، وإن كان بين القدماء منهم والافدهم ، وبين الاخر منهم
والاول ، تفاوت عظيم في البعد عن الحق والقرب منه

ثم نعم انراي الفلاسفة ثمة فنام . وهم من حقه . فله ، وعيمس أسوا ما
له نكروا جلود نفس واليوم ، الاخر ، واهم كسر مد وطلاوب وارستو
عد ابوقا ، وكس مد واندي من - فسمه لاجلام - قد آسرو ، فله ، الاحرة ،
اقا كفروا بفائد واتوا يبدع .

ثم يطرق يعرف في اى معامل وبرى في خلاف من دهر روم واسمه الخلق
مدى استخرجه من دهر في كنهه بدست اسعف ، كما يرى في عام اصيبه
درقم دانت خلاف في كابل خلاف من حده على روم ، به المصومر سنا
سفلت الدماء وتغرب البلاد

٤ - الصوفية

ثم اى في فرغ من هذه العلوم ، اقبلت بهتني على طريق الصوفية ،
وعلمت ان صريقتهم إما ثم تعلم وعمل وكان اصل عملهم قطع عمت
نفس ، والتمس على اخلاقهم لمعومه وصفتها حيثه ، حتى يتوصل الى
بحسه لقب على غير انه تعالى ، ونقلت به ذكره .

وبان العلم يبر على من امن ونشأت بتحصيل علمهم من
مداومة كتبهم ، مثل " فورت القلوب " لأى طالب المكي " ، وكتب
" سارت الحاسي " ، و" مفرقات المأثوره " من " الحيد " و" شلي " و
" ابي يزيد السعادي " ، وغير ذلك من كلام مشايخهم ، حتى اصابت
على كنه معاصدهم الصفة ، وحدثت ما يمكن ان يحصل من طريقهم
بالعلم والسمع ، فظهر في ان اخص خواصهم لا يمكن الوصول
إليه بالتعلم ، بل بالدوق والخال وسدل الصمت .

وكان قد حصل معي من العلوم التي مارسها وامالك التي سلكتها ،
في التفتيش عن صفاتي احوال الشريعة والفقهيات ، وكان يعني بالله تعالى
والنبوة ، وما يوم الآخر هذه الاصول الثلاثة من الايمان كانت رصحت
في نفسي ، لا بدليل من محرم من ناساب وقرائن وفجرب لا تدخل
تحت الحصر تفاهلها

وكان قد ظهر عدى انه لا مطيع في سعادة الآخرة الا بالتقوى ،
وكف النفس عن الهوى وان رأس ذلك كنه قطع علاقة القلب عن
الدنيا والتعالي عن دار العرور ، والامانة في دار الجود ، والاقبال بكنهه

المهمة على الله تعالى . وان ذلك لا يتم الا بالاعراض عن الهوى والمال .
والهرب من الشواغل والملائق

ثم لاحظت احوالي ، هذا انا مغمى في الملائق ، وقد احدثت في
من احواسه . ولاحظت اعمالي ، واحسب التدريس والتعليم ، فادانا فيها
مقل على علوم غير مهمة ، ولا ناعمة في طريق الآخرة

ثم تعمكت في سبقي في التدريس ، فاد هي غير خاصة بوجه الله
بصلي ، بل ناعته وعمرها طلب طاعة ، وانتشار الصيت فبقيت ابي على
شعاع حرف هار ، والي قد اشمع على النار ، ان لم اشمع تلافي الاحوال .
فلم ازل تفكر فيه مدة ، وانا بعد على مقام الاختار ، اصمم العزم
على الخروج من بغداد ، ومعارقة تلك لاهوال يوماً ، واحل العزم يوماً
واقدم فيه رجلاً ، واؤخر عنه اخرى لا تصدق لي رخصة في طلب
الآخرة سكره ، الا وتحمل عليها حمد الشهوة حنة فتعقرها مشية فصارت
شهوات الدنيا تحذني سلاسلها الى المقام ، ومتادي الايمان يندني :
الرجيل الرجل ، فلم سق من الامر الا القليل ، وبين يديك السعر
الطويل ، وجميع ما انت فيه من العلم والعمل رياء . وتجعل امان لم
تستند الآن للآخرة ، فمضى تشدد ؟ وان لم تقطع الآن هذه الملائق ،
فمضى تقطع ؟ فمضى ذلك قمم لداعية ، وينحرم العزم على الهوى والفرار
ثم يعود للشيطان ، ويقول . « هذه حال عارضة ، انك ان تصاوغها ،
فان سرية الزوال . فان احدثت لها ، وتركت هذا الهوى العريض ،
واشأن المنظوم الحالي عن التكدير والتنقيص ، والامن بالمسلم الصافي
عن مازعة الخصوم ، وما التفتت اليه نفسك ، ولا يتبر لك المداومة . »^١

(١) ان هذا العزم النسي ، الذي مرّ المراه في امره ، لشيء مما حدثت
لتفليس اعطيسوس ، عندما دعاه الله اليه . واليك مقتطف من « الاعترافات » بصور
لك تلك المداومة الداخلية :

فلم ار اتردد من تحادث شهوات الدنيا ، ودواعي الآخرة اقربا
من ستة اشهر ، اود رحمة ستة ثمان وثلاثين واربع سنة وفي هذا الشهر
حور الاسر حد الاختيار الى الاصغر ، اذ اؤس له على سالي حتى
اعتقل عن التدريس ، فكنت اجاهد نفسي ان اقدس يوما واحداً ، تطبيقاً
لفاؤ ، اعتدلة بي ، فكأن به سلق لسان مكلفة ، ولا استطاع استة ،
حتى اورثت هذه العلة في اللسان حزناً في القلب ، سطلت معه قوة
المضم ، وورده الطعام والشراب ، فكان لا ينساغ لي تردد ، ولا تنهض
لحمه ، وبعدي الى صف العزى ، حتى قطع الاطعم طعمهم من الملاح ،
وقالوا هه امر رول بالقلب ، ومنه سرى الى المروج ، فلا سبيل ليه
سلاج ، لا بان يتروح اسرع اهم الملم

ثم احدثت معزى ، وسقط بالكيفية احتياري ، انتحلت في فة
تعالى التجاء المضطر الذي لا حيلة له ، فاحاسي الذي «يجب المضطر اذا
دعاه» ، وسهر على قلبي الاعراض من الحاء والمان و «ولاد واصحاب»
واظهرت عزم الخروج الى مكة ، وانا در في عصي سمر الشام ، حذراً
ان يطعم الخلفة وحنة الاصحاب على عزمي في مقام الشام ، فتسلطت
بطلانف حيل في الخروج من بغداد ، على عزم ان لا عاوده ابداً
واستهددت لائمة اهل العراق كافة ، اذ لم يكن فيهم من يجوز ان يكون
الاعراض عما كنت فيه سناً دينياً ، وظنوا ان ذات هو المصعب الاهل
في الدين . وكان ذلك مصلهم من لمان .

في علمي الله ، كنت اوبخ نفسي كدراً من عادة اربابنا متسرعاً في قبولي
لا كسر مطب . كنت مفيداً شواحه سائلة ، ما يطيل محلة اصداء الاسر
الواو كن كاهن يارسي بيت الحسد ، وجسر في ادبي : انتفركنا ؟ ولان تسكن مطك
الى الاندوس حرم عليك كذا وكذا الى لاند وما كانت ، الهى ، هذه الاشياء اتق
بوقظ مورها في ؟ انما رأيتك من ذكريت هك ؟ ما فاه من فطنت محلة .

ثم رست الدس في الاستباحات ، وطقن من بعد عن العراق ان
ذلك كان لا ينشأ من جهة اولاء ، ومب من قرب من تولاة ، وكان
شاهد الحميم في تعلق بي ، والاسكتاب علي ، واعراضي عنهم ،
وعن الالتفات الى قولهم ، فيقولون : هذا امر ساجدي ، وليس له بسبب
الا عين اصابت اهل الاسلام ، وزمرة العلم !

فصدقت بغداد ، وفوت ما كان معي من المال ، ولم أدخر إلا قدر
الكفاف . وفوت لأقول ، ترخصاً بأمر من العراق مرصداً بآلاتهم ،
لكونه وقفاً على الملة ، فلم ار في الماء ، ولا ياحده الماء ايديه
اصلح منه .

ثم دعوت الشام ، وفوت به قرب من سني لا شغل لي إلا المرأة
والخاوية ، والاربابه والصحابة ، ابتلاء بركية النفس ، وتهذيب
الأخلاق ، وخدمة ملك لذكر الله تعالى ، كبر كنف حاضته من عالم
الصوفية . فكنيت اشكف مدة في مسجد دمشق ، اصعد منارة المسجد
طول النهار ، وأعلق بابها على نفسي .

ثم رحلت بها الى بيت المقدس ، أدخل كل يوم الصخرة ، وأعلق
بابها على نفسي .

ثم محررت في داعية فرصة الجمع ، والاستعداد من بركات مكة
والمدينة ، وزيارة رسول الله تعالى عليه السلام ، بعد الفراغ من زيارة
الحايل صوات الله عليه ، فسررت الى الحجاز .

ثم حدثني الحميد ، ودعوات رسول لي الوطى ، فعددت به بعد أن
كنت أبدأ الخلق في الرجوع اليه . وقرب المرأة به أيضاً حرصاً على
الخلوة ، وتقوية القلب للذكر .

وكانت حواشي الزمان ، ومهت ايصال ، وضرورت المعاش .

في وجه المراد ، ونشوش صفوة الخلو ، ولا يصوري انحال الا في اوقات متفرقة لكي مع ذلك لا اقطع طمعي منها ، فتدعسي بها العرائق ، وأعود إليها .

ودمت على ذلك مقدار عشر سبب ، واكتشف لي في أثناء هذه الخلوات أمور لا يمكن احصاؤها واستقصاؤها ، ولقد ردي اذ كره ليتعم به . أي علمت يجب ان الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة ، وان سببهم احسن اسير ، وصريقهم احسن الطرق ، واحلاهم اركى الاخلاق ، بل لو جمع عمل العقلاء ، وحكمة الحكماء ، وعلم الواقفين على اسرار الشرع من الصفاء ، لعبوروا شيئاً من سرهم واحلاهم ، ويبدلوه ثأ هو خير منه ، لم يجدوا الله شيئاً . فان جميع حركاتهم وسكناتهم ، في ظاهرهم وباطنهم ، مقتضية من دور مشكاة السوء ، وليس وراء دور السوء على وجه الارض دور يستضاء به .

وهذه ، هذا يقول القائلون في حريقهم ، طهرتها - وهي ورواها . صهبر القلب ، لكيه عما سوى الله تعالى ، ومفتاحها اخاري منها بحرى التحريم من الصلاة ، استراق القلب ، لكيه بذكر الله ، وآخرها الفناء بالكيه في الله " وهذا آخرها ، بالإضافة الى ما يكاد يدخل تحت الاختبار ولكسب من أوائها . وهي على التحقيق أول الطريقة ، وما قبل ذلك كالدلهيل للسالك اليه .

ومن اول الطريقة تتدنى المكاشفات واشاهدات ، حتى اهم في يقطبهم يشاهدون الملائكة ، وارواح الاسباء ، ويسمعون منهم اصواتاً ويقتسمون منهم فوائد ثم يترقى الحال من مشاهدة لصور والامثال ، الى درجات يضيق عنها نطاق النطق ، فلا يجاوز معبران يمر بها الا اشتغل لفظه على خطا صريح لا يمكنه الاحتمار منه .

وعلى الحالة ، يتمي الامر الى قرب ، يكاد يتخيل منه طائفة

الجلول ، وطائفة الاتحاد ، وطائفة الوصول ، وكل ذلك خطأ وقد بينت
وجه الخصر فيه في كتاب « مقصد الأسي » ، بل الذي لاسئته تلك
الحالة لا ينبغي أن يزيد على أن يقول :

وكان ما كان ، ست أذكره . فقل حقا ولا قتال عن الخبر^(١)

وتطرق المراد إلى البحث في السورة ، إذا هي معرفة نبوءات نور من ، بما
عرف الطب والحرمان ، وجه مداوى القلوب ، « سوم غا المود » ونصوف طريق
« دور من الحاق » كإعلامه وعلاء التصوف وعبرم - في لايمان بالنبوءة
يعود إلى مزاعم ليس أيسر من انصافها .

رجوع إلى سر العلم

ثم إنني لما واظبت على الفزلة والخلافة قريبا من عشر سنين ، وإن
لي في أثناء ذلك على الضرورة ، من نساب لا أحصياها ، مرة بادوى ،
ومرة بالعلم البهراني ، ومرة بالقول الإلهي ، الإنسان خلق من
بدن وقلب ، وأعني بالقلب حقيقة روحه التي هي محل معرفة الله ، دون
اللحم والدم ، الذي يشارك فيه الميت «الهيئة» . وإن البدن «صحة»
بب سعادته ، ومرض فيه هلاكه . وإن القلب كدب «صحة وسلامة»
ولا ينحو «إلا من أتى الله بقلب سليم» ، وله مرض فيه هلاكه الإلهي
الأحروي ، كما قال تعالى « في قلوبهم مرض » وإن الحول بالله سم
مهلك ، وإن عصية الله «تسعة لموى» ، دونه امراض . وإن معرفة الله
تعالى تزيانه المحيي ، وطاعته يحياه الممري دواؤه الشافي . وإنه لا
سبل إلى معالجه ، «دالة مرضه وكسب صحته» ، لا بادوية ، كما لا
سبل إلى معالجة أسن إلا بدب . وكذا أن ادوية البدن تؤثر في كسب
الصحة بخاصية فيها لا بدركها العقل . صناعة العقل ، بل يجب فيها

تقليد الأبناء الذين أخذوها من الآباء ، الذين طردوا بحاصية أسوة
على حوائث الأشياء ، وكذلك من يـ على الضرورة ، أن أدوية
لسادات محدودها ، ومدادها المحدودة انقدرة من جهة الآباء ، لا
يدرك وجه تأثيرها بصناعة عقل لفقلا ، بل يجب فيها تقليد الآباء
الذين أدركوا تلك الحوائث من أسوة ، لا بصناعة العقل

والآباء ، على - أمراض القلوب ، واثم فائدة العقل ونصرفه من
عرفنا ذلك ، وشهد لأسوة بالصدق ، وعنه ما حذر عن ذلك من
يبدوك معنى أسوة ، واحد يبدينا ، وسند اليها تمام المبدأ من
القائدين ، وتسلم المرحى المتعدي إلى دطام المشفقين وإلى هـ
مجرى أهل وعصاه ، وهو معروف عما بعد ذلك ، لا عن تفهم ما تلقاه
الطيب إليه

هذه أمور عرفت ، بضروره الطارية مجرى اشاهدة ، في مسده
الحثوة والعزلة .

ثم رأينا فتور الاعتقادات في أهل السوء ، ثم في حقيقة السوء ، ثم
في العمل ثا شرحة السوء ، ونحفظ شيوع ذلك بين الحلق ، فنصرت
إلى أسباب فتور الحلق ، وحصل بينهم ، فإداهي ردة

١ - سبب من الخائضين في علم الفلاسفة

٢ - سبب من طائفي في طريق التصوف .

٣ - سبب من المنسبين إلى دعوى التعليم .

٤ - سبب من معاملة الموسومين بالعلم فيما بين الناس .

فإلى سبب مدة آحاد خلق ، اسأل من يعصر بهم في متاعسة
لشرع ، واسأله عن شبهة والبحث عن عبيته وسره ، وقلت له
« ما لك بقصر فيها » من كثرت تؤمن بهدخرة ولست آتسما لها وتبيع
بالأب ، هذه حماقة إياك لا تتبع لأثنين بواحد ، فكيف تبع

لا هدية له بياض معدودة ؟ وان كنت لا تؤمن ، فأنت كافر ، هدير
نفسك في طلب الايمان ، وانظر ما سبب كفرك الحقني الذي هو
مدهمت بطناً ، وهو سبب خرائث ظاهراً ، وان كنت لا تُصرح به
تجملًا بالايان وتشرعًا بذكر الشرع ! »

فقابل يقول . « هذا امر يوحيث المحافظة عليه ، لكنا اهل
أبدر مدلك ، وفلان من المشاهير بين الفضلاء لا يصلي ، وفلان يشرب
الخمر ، وفلان يأكل اموال الاوقاف وامور التامى ، وفلان يأكل
ادور السلطات ولا يحترز عن حرام ، وفلان يأخذ الرشوة على الفضا.
والشهادة ! » وهلم جرا الى امثاله

وقائل ثالث : يدعي علم التصوف ، ويؤمن انه قد بلغ مقام ترقى
عن الحاجة الى المادة !

وقائل رابع . يملأ تشبه أخرى من شبهات اهل الاباحة !
وهؤلاء هم الذين صدوا عن التصوف .

وقائل رابع . لقي اهل التعليم يقول . « الحق مشكل ، والطريق
اليه متعسر ، والاختلاف فيه كثير ، وليس بمصر المذهب اوى من
بعض ، وأدلة العقول متعارضة ، فلا تقدر ربي اهل الرأي ، والداعي
الى التعليم متحكما لا حجة له ، فكيف ادعى اليقين بأشئ ؟ »

وقائل خامس يقول . ست اعمل هذا تقليداً ، ولكني قرأت علم
الفلسفة ، وفكرت حقيقة السرة ، وإن حاصلها يرجع الى الحكمة
والصحة ، وان المقصود من تمذتها صسط عوام الخلق وتقيدهم عن
التقاتل والتدارع والاسترسال في الشهوات ، فاما من العوام اجمال حتى
ادخل في حصر التكليف ، وإما انا من الحكماء أتم الحكمة وانا
بصير بها ، مستغن فيها عن التقليد ! »

هذا انتهى بان من قرأ مذهب فلسفة الالهي منهم ، وتعلم ذلك
من كتب ابن سينا والي نصر الفارابي
وهؤلاء هم المتأملون بالإسلام

ورما ترى الواحد منهم يقرأ القرآن ، ويحضر جماعات والصوات ،
ويحلم الشريعة بلسانه ، ولكنه مع ذلك لا يترك شرب الخمر ، وازواجاً
من الفسق والفجور أو اذا قيل له « من كانت السوء غير صبيحة ، فلم
تصلي ؟ » فرما يقول « رياضة الحمد ، وسادة هل البد ، وحفظ المال
واودا » واما قال « لشريعة صبيحة » ، والسوء حق ا » فيقال
« فلم تشرب الخمر ؟ » يقول « لا نهى عن شرب الخمر ثورث المدونة
والحناء ، وانا محسنتي بحذر عن ذلك » والي افصده تشييد خداري ؟
حتى ان ابن سيد ذكر في وصية « كتب فيها : انه « قد افقه تعالى في
كذا وكذا ، وان نعم الامواع الشرعية ، ولا يقصر في الصادات
الدينية ، ولا يشرب ثلها بل يداوياً وتشاهد فكأن انتهى حديثه في
صفا الايمان ، والزام الصادات » ان استنى شرب الخمر ففرض الثاني
فهذا ايمان من يدعى « دين » بهم ، وقد اخذ بهم جماعة ،
وزادهم الخداهم ضعف اعتراض لغة من عابهم ، اذ « قدوا » بحدود
علم امدسة والمحقق ، وغير ذلك ، هو ضروري لهم ، على ما انما
علته من قبل

فلما رأيت اصناف الخلق من ضعف ايمانهم الى هذا الحد مرده
الاسباب ، ورأيت نفسي مقلبة بكشف هذه اشبه ، حتى كان قدح
هؤلاء سر عيني من شرمة ١٠ ، لكثرة خوصي في علومهم وطرقهم ،
اعني طرق الدعوة والفلسفة والتعليمية والمتوسدين من اهلها ، انقدح
في نفسي ان ذلك منهي في هذا الوقت بحسب مدد تعبيات الخوة
والمرلة ، وقد عمّ لدا ، ومرضى الاطباء ، واشرف الخلق على الهلاك ؟

ثم قلت في نفسي : متى تشتغل انت بكشف هذه النصة ، ولو
اشتغلت بدعوة الخلق ، عن طريقهم الى الحق ، لئلا ذلك اهل الزمان يجمعهم ؟
والى تقويمهم ، فكيف ياتهم ، ولا يتم ذلك الا برمان مساعد ،
وسلطان متدين قاهر ؟

فترجعت بي وبين الله تعالى بالامتنار على الغزلة ، وبمعدلاً باسمجز
عن اظهار الحق بالحجة . فعد الله تعالى ان حركت داعية سلطان الوقت من
نفسه ، لا تحريك من خارج . فامر امر الروم بسبوح الى بيسبور ،
لتشارك هذه المرة ، وبعث الامراء حداثاً من بيتي ، وصررت على
الخلافة ، الى حد الوحشة . فحطرت لي ان صب الرخصة قد صفت ، فلا
يتمني ان يسكن . فثقت على علامة العروة لكسب والاستراحة ، وطلب
حر النفس وصونها عن اذى الخلق .

فشاورت في ذلك جماعة من ارباب القلوب واشهادات ، وفقروا
على الاشارة بترك العروة ، والخروج من الزاوية . واصاب الى ذلك
مذات من الصالحين كثيرة متواترة ، تشهد بان هذه الحركة مبدأ خير
ورشد ، قدرها الله سبحانه على رأس هذه الأمة ، وقد وعد الله سبحانه
بالحياة . دونه على رأس كل فئة . فاستحكم الرجاء . وغلب حسن الظن
بمسب هذه اشهادات ، وبمسب الله تعالى الحركة الى بيسبور ، للقيام بهذا
لمهم في ذي القعدة سنة تسع وتسعين واربع مئة . وكان الخروج من بغداد
سنة ثمان وخمسين واربع مئة . .

وانا اعلم اني ، وان رجعت الى شر العالم ، ورجعتا فار الرجوع
عود الى ما كان ، وكنت في ذلك الزمان اشر لعالم امدى به . فكسب
اخاه ، وادعو اليه بولي وعلمي ، وكنت ذلك قصدي وسبي . واما الآن ،
فادعو الى العلم الذي به يُترك اخاه ، ويعرف به سقوط رتبة اخاه ، وهذا
هو الآن تبني وقصدي وأُسْبي ، يعلم الله ذلك مني . وانا اعلم ان

أصلح نفسي وعبري ، ولست أدري أصل إلى مرادي أم أحترم دون
 عرصي . والسكبي اومس أين يقبى ومشاهدة انه لا حول ولا قوة الا
 بالله العلي العظيم ، واني لم أحرك لكنته حركتي ، واني لم اعمل ، لكنته
 استعملني . فساله ان يصلحني اولاً ، ثم يصلح لي ، ويهديني ، ثم يهدي
 لي ، وان يربي الحق حقاً ، ويردني ابعه ، ويربي الباطل باطلاً ،
 ويردني احسنه

ثم يحاول المرابي انساب سره ، واراد على حصورها ، ويظهر ارساله بوصف
 العالم الحقيقي :

العالم الحقيقي

الـ العالم الحقيقي ، يقارن معصية الا على سبيل المعصية ، ولا
 تكون مصراً على المعصية اصلاً ، اد العلم الحقيقي ، يعرف ان المعصية
 سم مهلك ، وان الآخرة خير من الدنيا . ومن عرف ذلك ، لا يبيع
 الخير بما هو ادنى .

وهذا العلم لا يخص بواع العلوم التي يشتملها اكثر الناس .
 وذلك لا يريدهم ذلك العلم الا لجراؤه على معصية الله تعالى ، واما
 العلم الحقيقي ، فيريد صاحبه خشية وخوفاً ، وذلك يحول بينه وبين
 المعصية الا المعصية التي لا ينفك عنها الشر في الفتوة ، وذلك لا يدل
 على ضعف الايمان ، فانؤمن مقلد تواب ، وهو بعيد عن الاصرار
 والاكباب .

وسأل الله العظيم ، ان يحلنا بمن آثره واحتواه ، وارشده الى الحق
 وهداه ، واليه ذكره حتى لا يسه ، وعصه عن شره حتى لم
 يؤثر عليه سواء ، واستخلصه لنفسه حتى لا يعبد الا اياه .

انتهت الرسالة

معنى المذهب

لعلنا نقول كلامك ، في هذا الكتاب ، انقسم الى ما يطابق مذهب التصوف ، والى ما يطابق مذهب الاشعرية وبعض المتكلمين ، ولا يفهم الكلام الا على مذهب واحد ، في حق من هذه المذاهب ؟ فان كان لكل حقا ، فكيف تصور هذا ؟ وان كان بعضه حقا ، فذلك الحق ؟

فيقال لك : ان عرفت حقيقة مذهب ، لا يحدك قط ، ان الناس فيه فريقان :

فريق يقول : المذهب اسم مشترك لثلاث مراتب

احداها ما يتعصب له في المناهضة والمناظرات

والاخرى ما يدار به في ادللت والارشادات

ولثالث ما يعتقد الاسر في نفسه ، كما انكشف به من سطريرات

ولكل كاهل ثلاثة مذاهب ، بهذا الاعتبار

فاما المذهب ، بالاعتبار الاول ، فهو على الآراء والاحاديث ومذهب

المعجم ، ومذهب هل اللد يدي فيه الشؤ . وذلك يختلف بسلاط ،

والاقتدار ، والمعلمين من ولد في ريد المعتبرة ، او الاشعرية ، او الشفعية ،

او الحنبلية ، انعم في نفسه ، مذهبهم ، انقسم له ، ولرب دونه ،

وانهم لما سواهم . ومبدأ هذا التعصب حرص جماعة على طلب الرياسة ،

استتباع العوام ، ولا تمتعت داعي العوام الا لجامع يحمل على نظامهم ،

فصلت المذاهب في تفصيل الادبيات حاملا فتنهم ليس فرقا ، ونحوكت

عقول الحسد والمناصرة ، فاشتد تعصبهم ، واستحكم به تدابرهم . .

المذهب الثاني ما ينطبق في الارشاد والتعليم ، على من جاءه مستفيدا ،

مسترشدا . وهذا لا يتمين على وجه واحد بل يختلف بحسب المسترشد ،

فيما طر كمن متشدد في يحتله فيه . . فالمدب ، بهذا الاعتبار ، يتغير
ويختلف ، ويكون مع كل واحد ، على حسب . . يحتله فيه .
المدب الثالث ما يعتقد (حل صراً ، فيه وبين الله عز وجل ،
لا يطلع عليه غير الله تعالى ، ولا يذكره الا مع من هو شريكه في
الاطلاع على ما اطلع ، او بلغ رتبته يقبل الاطلاع عليه ويفهمه . .
هذا طريق قريب من الناس . واما الطريق الثاني ، وهم الاكثرون ،
يقولون . امدب واحد ، هو المعتد ، وهو الذي ينطق به تعلياً
وارشاداً . مع كل آدمي ، كيف اختلفت حاه ، وهو الذي يتعصب له
وهو مذهب الاشعري ، او المعتز ، او الكرامية ، او اي مذهب
من المذاهب والاولون يوافقون هؤلاء على هم لو سئلوا عن المذهب
انه واحد او ثلاثة ، لم يجز ان يذكر انه ثلاثة ، بل يجب ان يقال
انه واحد .

وهذا يجعل نصيب السؤال عن المذهب ، ان كنت عما خلا . فان
الناس متفقون على الطلق بان المذهب واحد ، ثم يتفقون على ان المذهب
للمذهب ابيهم ، او معلمهم ، او اهل بيوتهم ولو ذكر دأكر مذهبهم ،
فما منعتك فيه ، ومذهب غيره يخالفه ، وليس مع واحد . هم معصية
يتروح بها حارسه فحاشب الالتفات الى المذاهب ، واطلب الحق بطريق
النظر ، لتكون صاحب مذهب ، ولا تكن في صدارة اعشى ، فقد
قائداً يمشك الى طريق ، وحوايثك الف مثل قائدك يندون عيت بانه
اهلكك ، واضلك عن سواء الصل . .

ولو لم يكن في محاري هذه الكتابات الا ما يشككك في اعتقادك
الموثر ، لتتدبر للطلب ، فتحيك به نفعاً اذ الشكوك هي الموصلة
الى الحق ، فمن لم يشك لم ينظر ، ومن لم ينظر لم يبصر ، ومن لم يبصر
دقي في المسمى والصلال ، تعود باقة من ذلك .

علم الكلام

نقول ان فيه منفعة ، وفيه مصرة . فهو باعتبار منفعته ، في وقت
الاستعاضة ، حلال ، او عندئذ اليه ، او واجب ، كما يقتضيه الحال .
وهو باعتبار مصرفته ، في وقت الاستضرار وبخه ، حرام

اما مضرته فانارة الشهوات ، وتحريك القنود ، وادائها عن الجرم
والصميم فذلك مما يحصل في الاشتداد . وروحها بالدليل مشكوك
فيه ، ويختلف فيه الأشخاص . فهذا ضرره في الاعتقاد الحق

وله ضرر آخر في تأصيل اعتقاد المتدعة للبدعة ، ونشبهته في
صدورهم ، بحيث سمح دواعيه ، ويشد حرصهم على الاصرار عليه ،
وسكن هذا الضرر بواسطة التصب الذي يثور من الحدل .

واما دمنته ، فقد بطل ان فائدته كشف الحقائق ، ومعرفتها على
« هي عليه ، وهيبت فليس في الكلام ولا . بهذا المطلب التبرير .
وسل المحيط والتضليل فيه اكثر من الكشف والتبرير . وهذا اذا
صحته من محذو او حشوي ، ربما خطر بذلك ان الناس اعداء « جهلوا .
فاسمع هذا من غير الكلام ، ثم قلاه بعد حقيقة الحقرة ، وبعد التقليل
فيه الى متهمي دوحة المتكلمين ، وحار ذلك الى التعمق في علوم
آخر تناسب نوع الكلام ، وتتحقق ان الطريق الى حقائق المعرفة من هذا
الوجه مدود . ولعمري ، لا ينعكس الكلام عن كشف وتبرير ، واضاح
ابعض الامور ، ولكن على الندور ، في امور حلية ، تكاد تفهم قبل
التعمق في صفة الكلام

بل منفعته شي . واحد ، وهو حراسة العقيدة ، التي ترجمتها على
العوام ، وحفظها عن تشويشات المتدعة ، بنوع الحدل فان العاصي

ضعيف ، يستقره جدل المتدع ، وإن كان فاسداً ، ومعارضة الفاسد
بالفاسد تدفعه .

(الاحياء ٢ : ١ : ٧٢)

اعمل ، والله خير مؤمن !

يشككم الغزالي عن سلوك سبيل السعادة الآخروية ، فبرى أن الناس في ذلك
اربع فرق ، وإن القرقة الزاجنة ذهبت إلى أن الموت عدم محض ، وإن الطاعة
والمصيبة لا عاقبة لها ، فيخاطب من ييل إلى اعتقاد هذه القرقة قائلاً :

وإن كنت تظن صحته ظناً غالياً ، ولكن بقي في نفسك تجويز
صدق الانبياء والاولياء وجاهد العلماء ، ولو عن بعد ، فعقلك أيضاً
يتقاصدك سلوك طريق الأمن ، واجتناب مثل هذا الخطر المائل . فانك
لو كنت في جوار ملك ، وامسكتك أن تتعاطى في واحد من محارمه ،
مثلاً ، عملاً من الاعمال ، تظن غالباً انه يقع منه موقع الرضى ، فيعطيك
عليه خاتمة وديناراً ، ويحتمل احتمالاً ، على خلاف الظن القالب ، انه يقع
منه موقع السخط ، فينكل بك ، ويفضحك ، ويديم عقوبتك كل
عمرك ، أشار عليك عقلك بأن الصواب ان لا تقتحم هذا الخطر . فانك
ان فعلت واصبت فزيته دينار ، لا يطول بقاؤه معك . وإن اخطأت
فذكاه عظيم ، يبقى معك طول عمرك ، فليس تنفي ثمرة صوابه بمثالة
خطأه . . . ولهذا قال علي ، رضي الله تعالى عنه ، لمن كان يشاغبه ويثاربه
في امر الآخرة : ان كان الامر على ما زعمت ، تخلصت جميعاً ، وإن كان
الامر كما قلت ، فقد هلكت ونجوت .

فلاسفة العرب

سلسلة دراسات ومختارات

ظهر منها :

- ١ - ابن الفارض (طبعة ثانية)
- ٢ - ابو الملا، المحري (طبعة ثانية)
- ٣ - ابن خلدون (طبعة ثانية)
- ٤ - القزالي : في جزئين (طبعة ثانية)
- ٥ - ابن طفيل
- ٦ - ابن رشد : في جزئين
- ٧ - اخوان الصفا .

للمؤلف ايضاً :

- قربان الاعاقي : مرسوب عن طاعود



تم طبع هذا الكتاب في الخامس عشر
من شهر تشرين الأول سنة ١٩٦٥

